سلسلة تفريغات شبكة بينونة

النصيحة

فضلها وشيء من أحكامها

الشيخ د. عبدالرحمن بن سلمان الحمادي

قام به فريق التفريغ في شبكة بينونة للعلوم الشرعية

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net

من هنا باقي التفريغات

يسر شبكة بينونة للعلوم الشرعية
أن تقدم لكم تفريغًا لمحاضرة
بعنوان

النُصيحة فضلها
وشيء من أحكامها

للشَّيْخ

د.عبد الرحمن الحمادي

حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد؛

أيها الأحبة الكرام لقائنا الليلة معكم حول موضوع مهم، هذا الموضوع يحتاج إليه كل عاقل، يرجو الخير والصلاح لنفسه ولغيره من إخوانه وعامة الناس، ألا وهو النصيحة، وقبل ذلك أيها الأحبة لنتعرف على معنى النصيحة.

النصيحة في لغة العرب مأخوذة من الفعل نَصَح، تدل على ملائمة بين شيئين وإصلاح لهما، ولها معانٍ عدة اللغة تدور حول الصدق والإخلاص والمشورة، ومنه يقال: توبة نصوح، أي: صادقة، ويقال فلان ناصح الجيب، أي: ناصح القلب ليس فيه غش، ويقال: نصحت فلانا نصحا، وقد نصحت له نصيحتي نصوحا، أي: أخلصت وصادقت، تلاحظون أن هذه المعاني متقاربة في إرادة معنى خير يقدمه الناصح للمنصوح في هذه المعاني في اللغة، وإذا جئنا إلى معنى النصيحة في لغة الشارع في الاصطلاح الشرعي نجدها أيضا متوافقة مع المعنى اللغوي، من ذلك ما ذكره الإمام الخطابي قال: «النصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له»[1] ، قال الراغب الأصفهاني: «النصح تحرى فعل أو قول فيه صلاح صاحبه»[2] ، وقال الطيبي أيضا في تعريف النصيحة: «هي خلوص المحبة للمنصوح له، والتحري فيما يستدعي حقه»[3] ، وقال الجرجاني: «هي الدعاء إلى ما فيه الصلاح، والنهي

(1) معالم السنن (4/ 125).

(2) مفردات غريب القرآن (ص494).

(3) الكاشف عن حقائق السنن (10/ 3183).

عما فيه الفساد»[1] ، ومن معاني النصح قال ابن الأثير: «هي كلمة يعبر بها عن جملة، هي إرادة الخير للمنصوح له، وليس يمكن أن يعبر هذا المعنى بكلمة واحدة تجمع معناها غيرها»[2] ، إذًا لهذه الكلمة النصيحة هذا المصطلح معنى واسع، وله تطبيقات كثيرة لا تفي الكلمات في التعبير عن تعريف محدد لهذا المصطلح، هذا هو مفهوم الأئمة، ومفهوم ابن الأثير عندما قال: « ليس يمكن أن يعبر هذا المعنى بكلمة واحدة تجمع معناها غيرها»، لنأت أيها الأحبة إلى ذكر المحور الآخر من محاضرة اليوم: فضل النصيحة، قد أولى الله عز وجل النصيحة بالذكر والدعوة إليها في كتابه العزيز كما في سورة العصر، قال الله عز وجل: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣ ﴾ [العصر]، أين ذكر الله عز وجل النصح في هذه الآيات؟ ذكرها في قوله عز وجل: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣ ﴾، فالتواصي بالحق والتواصي بالصبر، هو نوع أو صورة من صور التناصح، إذًا فقد اشتملت السورة على بيان أهمية النصيحة في حياة الإنسان، وذلك أن الله عز وجل أقسم بالدهر عندما قال: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾ قسم بالدهر وبالمناسبة فإن القسم بالدهر لا يجوز منا نحن، والله عز وجل أقسم به مزية وخصيصة خاصة به سبحانه عز وجل، ولا يجوز علينا نحن المسلمين أن نقسم بغير الله عز وجل، أقسم الله عز وجل بالدهر الذي هو العصر ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴾ أي: على أن بني آدم لفي هلكة ونقصان إلا الذين آمنوا بالله وعملوا عملا صالحا، وأوصى بعضهم بعضا بالاستمساك بالحق والعمل بطاعة الله والصبر على ذلك، فهنا فضل عظيم للنصيحة، دلت عليها هذه الآيات من خلال قول لله عز وجل ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾، إذًا المتواصون بالحق والمتواصون بالصبر هم

(1) التعريفات (ص241).

(2) النهاية في غريب الحديث والأثر (5/ 63).

استثناهم الله عز وجل من الخسران ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ ، قال الإمام الشافعي رحمه الله: «ما لوما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم»[1] ، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم منزلة النصيحة في حياتنا وأن لها تعلقا بالله تعالى وبكتابه وبرسوله صلى الله عليه وسلم فقال: **«الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟**-الصحابة يسألون النبي صلى الله عليه وسلم- **قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»**[2] ، والنصيحة لله سبحانه تكون بالإخلاص في عبادته والنصيحة لكتابه بالعمل بمقتضاه، والنصيحة لرسوله صلى الله عليه وسلم بإحياء سنته والذب عنه ونشرها والتخلق بأخلاقه الكريمة الجليلة، والتأدب بآدابه الجميلة، وإماتة البدع والمحدثات في الدين، والنصيحة لأئمة المسلمين تكون بطاعته في الحق ومعونتهم عليه وإرشادهم إليه وإعلامهم بما غفلوا عنه من المفاسد، والنصيحة لعامة المسلمين إرشادهم لمصالحهم الدينية والدنيوية، كتنبيه غافلهم، وتعليم جاهلهم ودفع المضار عنهم والحنو عليهم وجلب المنافع إليهم، هذا مختصر فيما ذكر في معنى وشرح هذا الحديث، والذي نستفيده منه في قول النبي صلى الله عليه وسلم: **«الدِّينُ النَّصِيحَةُ»**، وهي تشمل هذه المحاور كلها لله عز وجل ولنبيه ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم، وهذا دليل على فضل النصيحة بشمولها وعمومها، وإن مما يبين أهمية النصيحة ومكانتها في الدين أنها تعد صورة من صور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالنصيحة إن كانت في جلب خير للمنصوح فهي أمر بالمعروف، وإن كانت في دفع شر عنه فهي من باب النهي عن المنكر، إذًا النصيحة هي وجه من وجوه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، على هذا نقول كل فضل وارد في

---

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (8/ 456).

(2) رواه مسلم (55).

شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الآيات والأحاديث فإنه يعود بالفضل عن النصيحة أيضا، من ذلك أن النصيحة من أخص صفات النبي صلى الله عليه وسلم من أين استفدنا هذا الأمر؟ من قول الله عز وجل في صفة النبي صلى الله عليه وسلم في سورة الأعراف قال: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وما اتصف به النبي صلى الله عليه وسلم حري بنا نحن المسلمين أن نتصف به، وقد وصف الله عز وجل هذه الأمة بما وصف به نبيه صلى الله عليه وسلم وجعل التمسك بها سببا من أسباب خيريتها من أين هذا؟ من قول الله عز وجل: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠] ، قال ابن كثير رحمه الله: «فمن اتصف من هذه الأمة بهذه الصفات دخل معهم في هذا الثناء عليهم والمدح لهم، كما قال قتادة: بلغنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حجة حجها، رأى من الناس رعة سيئة -أي صفة سيئة-، فقرأ هذه الآية: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ ثم قال: من سره أن يكون من تلك الأمة، فليؤد شرط الله فيها»[1] ، أي: فليأمر بالمعروف وينه عن المنكر، والقيام بهذه الشعيرة سبب للفلاح في الدنيا والآخرة، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤] ، إذًا النصيحة من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب من أسباب الفلاح، وقد جعلها الله سبحانه وتعالى من أخص صفات المؤمنين التي نالوا بها رحمته، من أين لنا هذا؟ من قول الله عز وجل: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١]، إذًا هي من

(1) تفسير القرآن العظيم (2/ 89).

أسباب الرحمة هذه الصفة التي اتصف بها المؤمنون، وممّا يدل أيها الأحبة على أهمية النصيحة أيضا أن الله سبحانه وتعالى يسأل عبده يوم القيامة عن سبب تركه لها، ففي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إِنَّ اللهَ لَيَسْأَلُ الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يَقُولَ: مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَ الْمُنْكَرَ أَنْ تُنْكِرَهُ؟ فَإِذَا لَقَّنَ اللهُ عَبْدًا حُجَّتَهُ، قَالَ: يَا رَبِّ رَجَوْتُكَ، وَفَرِقْتُ مِنَ النَّاسِ**»[1] ، إذًا فهو مسؤول عن بذل النصيحة إذا قصر فيها، إذا رأى تقصيرا عن المعروف فلم يأمر به، وإذا رأى من يقع في المنكر ولم ينه عنه أنه يسأل عن هذا التقصير يوم القيامة، ولعظيم شأنه أن النصيحة أيها الأحبة نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم بين أنها واجبة على كل مسلم بحسب حاله واستطاعته، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**»[2] ، بل عدها النبي صلى الله عليه وسلم نوعا من أنواع الجهاد، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ، وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُو مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُو مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُو مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ**»[3]، نسأل الله السلامة والعافية، فحري بنا أيها الأحبة أن نلتزم بالنصح لأنفسنا ولأقاربنا ولعامة المسلمين بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر متى ما وقعنا على ذلك، وإن مما يدل على عظم شأن

---

(1) رواه ابن ماجه (4017)، وصححه الألباني.

(2) رواه مسلم (49).

(3) رواه مسلم (50).

هذه الشعيرة العظيمة أن الله جل وعلا توعد من لم يأمر بالمعروف وينه عن المنكر، فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ أَولَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ»[1] ، نسأل الله السلامة والعافية، إن هذا لأمرٌ عظيم، وفي الحديث عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَا مِنْ رَجُلٍ يَكُونُ فِي قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي، يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يُغَيِّرُوا عَلَيْهِ، فَلَا يُغَيِّرُوا، إِلَّا أَصَابَهُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَمُوتُوا»[2] ، ما أعظمها من نصوص ترشدنا إلى حتمية قيامنا بالنصح لأنفسنا ولأقاربنا ولعامة المسلمين بأمرهه بالمعروف إذا رأيناهم قد قصروا فيه، وبنهيهم عن المنكر إذا رأيناهم قد وقعوا فيه فإن هذا واجب علينا حتى ننجو من عقاب الله عز وجل، من وعيده بالعقاب والعذاب، نسأل الله السلامة والعافية، والنصوص في فضل النصيحة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة جدا تدل دلالة واضحة على منزلة النصيحة وأثرها في حياة المسلم، فهي البناء المتين الذي تتماسك عرى الدين، ويصان البيت والمجتمع والوطن، فبها تحفظ العقيدة والسلوك والأخلاق وتدرأ المحن والرذائل والفتن، وبها تحفظ النعم ويسود الأمن ويصرف كيد الأعداء، قال ابن الأثير مبينا فضل النصيحة وأهميتها: هي جماع الدين وملاكه لأن ما لا نصح عنده وباطنه ملتبس بالغش فليس عنده من الدين إلا الاسم، وقد أكد أيضا النبي صلى الله عليه وسلم هذا المعنى عندما قال: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»، ، قال ابن حجر رحمه الله في بيان منزلة هذا الحديث العظيم ومعنى النصيحة الواردة فيه: «وهذا

(1) رواه الترمذي (2169)، وحسنه الألباني.

(2) رواه أبو داود (4339)، وابن ماجه (4009)، وحسنه الألباني.

الحديث من الأحاديث التي قيل فيها إنها أحد أرباع الدين ، قال النووي: بل هو وحده محصل لغرض الدين كله لأنه -أي الدين- منحصر في الأمور التي ذكرها، فالنصيحة لله وصفه بما هو له أهل والخضوع له ظاهرا وباطنا والرغبة في محابه بفعل طاعته والرهبة من مساخطه بترك معصيته والجهاد في رد العاصين إليه، أما النصيحة لكتاب الله تعلمه وتعليمه وإقامة حروفه في التلاوة وتحريرها في الكتابة وتفهم معانيه وحفظ حدوده والعمل بما فيه وذب تحريف المبطلين عنه، والنصيحة لرسوله تعظيمه وتوقيره ومحبته وإحياء سنته بتعلمها وتعليمها والاقتداء به في أقواله وأفعاله والانتصار لها والذب عنها، والنصيحة لأئمة المسلمين إعانتهم على ما حملوا القيام به وتنبيههم عند الغفلة بمناصحتهم سرا وسد خلتهم عند الهفوة وجمع الكلمة عليهم، ورد القلوب النافرة إليهم ومن أعظم نصيحتهم دفعهم عن الظلم بالتي هي أحسن من جملة أئمة المسلمين أئمة الاجتهاد وتقع النصيحة لهم ببث علومهم ونشر مناقبهم وتحسين الظن بهم، والنصيحة لعامة المسلمين الشفقة عليهم والسعي فيما يعود نفعه عليهم وتعليمهم ما ينفعهم وكف وجوه الأذى عنهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه»[1]، هذا ملخص ما ذكره الإمام النووي في شرح هذا الحديث، إذا كانت النصيحة أيها الأحبة بهذا المقام فما حكمها؟ تقرر معناه أن النصيحة صورة من صور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبناء على ذلك فإن الحكم الشرعي للنصيحة مأخوذ من حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيما ورد فيها من آيات وأحاديث، وقد نقل الإجماع على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب جماعة من العلماء كأبي بكر الجصاص من الحنفية وابن عبد البر من المالكية والنووي من الشافعية وغيرهم رحمهم الله، وهذا الوجوب إنما هو على مجموع هذه الأمة، أما الأعيان فإنه يجب

(1) فتح الباري (1/ 138).

عليهم وجوبا كفائيا إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين، وإلى هذا ذهب جمهور العلماء ودليل الوجوب في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، قال ابن كثير رحمه الله: «والمقصود من هذه الآية، أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجبا على كل فرد من الأمة بحسبه»[1] ، وقال أبو بكر الجصاص: « قد حوت هذه الآية معنيين. أحدهما: وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والآخر: أنه فرض على الكفاية ليس بفرض على كل أحد في نفسه إذا قام به غيره، لقوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾ وحقيقته تقتضي البعض دون البعض، فدل على أنه فرض الكفاية إذا قام به بعضهم سقط عن الباقين»[2] ، من الأدلة أيضا على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢] ، كيف دلت هذه الآية على وجوب الأمر بالمعروف والنهي المنكر؟ أن التفقه في الدين وإنذار الناس ودعوتهم فرض كفاية إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين، وهذه صورة من صور النصح، وكما سيأتي أن النصح يجب أن يسبق بالتعلم والمعرفة حتى لا يكون هناك نصح قائم على جهل، من الأدلة أيضا إلى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قوله عز وجل: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ ﴾ [الحج: ٤١]، قال القرطبي رحمه الله: «إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على الكفاية» [3] ، يتضح من هذا مما ذكرنا أيها الأحبة أن حكمه

(1) تفسير القرآن العظيم (3/ 175).

(2) أحكام القرآن (2/ 37).

(3) الجامع لأحكام القرآن (4/ 165).

واجب على الكفاية، قال ابن تيمية في توضيح هذا الأمر: «وجوب الْأَمر بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْي عَن الْمُنكر لَا يجب على كل أُحْدُ بِعَيْنِه بل هُو على الْكِفَايَة كَمَا دلّ عَلَيْهِ الْقُرْآن »[1] ، إلا أنه قد توجد أحوال يتغير فيها الحكم من فرض الكفاية إلى فرض العين، أجملها الإمام النووي رحمه الله في قوله، لاحظوا معي أيها الأحبة متى يتعين النصح بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قال النووي: «ثم إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية إذا قام به بعض الناس سقط الحرج عن الباقين، وإذا تركه الجميع أثم كل من تمكن منه بلا عذر ولا خوف، ثم إنه قد يتعين كما إذا كان في موضع لا يعلم به ألا هو أولا يتمكن من إزالته إلا هو وكمن يرى زوجته أو ولده أو غلامه على منكر أو تقصير في المعروف»[2] ، فهنا قد تعين عليه أن يتولى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهذه الصورة من الصور التي يصير النصح بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متعينا على الشخص، هل للنصيحة ضوابط وآداب؟ نعم بلا شك مع إقرارنا أيها الأحبة بأن النصيحة تجب على الفرد سواء بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن هذا لا يعني أن يكون نصحه بلا ضابط أو قيد بل عليه أن يلتزم بالضوابط الشرعية العامة المقررة في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لماذا؟ لئلا يترتب على الإنكار مفسدة أعظم من المنهي عنها وإلا انقلب عمل الفرد والناصح في هذا المقام من إصلاح إلى إفساد، وهذا منهي عنه شرعا، فإنه لم يأت من نصحه بفائدة بل تعدى هذا الأمر إلى أنه وقع في مفسدة، وهنا آداب حري بالناصح أن يلتزم بها، هي أولا الإخلاص ينبغي على الناصح أن يقصد بعمله وجه الله عز وجل وإعزاز دينه ورحمة خلقه لا يبتغى بذلك جزاء ولا ثناء، فالنصيحة أيها الموفق التي هي أمر بالمعروف أو نهي عن المنكر

---

(1)الاستقامة (2/ 208).

(2) شرح صحيح مسلم (2/ 23).

من أفضل الأعمال وأنفعها، والله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما أريد به وجهه، قال عز وجل: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧] ، قال الفضيل بن عياض رحمه الله ما المقصود ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ قال: «أخلصه وأصوبه، إنّ العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتّى يكون خالصا صوابا، والخالص أن يكون لله والصّواب أن يكون على السّنّة»[1] ، هذا معنى قوله عز وجل: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، وإن من صور الإخلاص ألا ينتصر نفسه الناصح لا ينتصر نفسه، بل عليه أن يقتصر على القدر الواجب في نصيحته ولهذا قال الإمام أحمد رحمه الله: «يأمر بالرّفق والخضوع، فإن أسمعوه ما يكره لا يغضب، فيكون يريد ينتصر لنفسه»[2] لأنه إذا غضب سيكون هنا الانتصار للنفس، ينصح ومجرد النصح سواء قبل منه نصحه أو لا فقد أدى الذي عليه، وسئل الإمام أحمد رجل أيضا فقال له: «إِذَا أَمَرْتُهُ بِالْمَعْرُوفِ فَلَمْ يَنْتَهِ أَدَعُهُ، لَا أَقُولُ لَهُ شَيْئًا؟ قَالَ: لَا، مُرْ بِالْمَعْرُوفِ، قُلْتُ لَهُ: فَإِنْ أَسْمَعَنِي؟ قَالَ: «دَعْهُ، إِنْ رَدَدْتَ عَلَيْهِ ذَهَبَ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَصِرْتَ تَنْتَصِرُ لِنَفْسِكَ »[3] تخرج إلى الإثم فإذا أمرت بالمعروف فإن قبل منك وإلا فدعه، من الآداب واجبة الاتباع في مقام النصح أيضا: العلم فينبغي أن يتحلى الناصح بالعلم والمعرفة للشيء المنصوح به، أن يكون ذا علم وبصيرة بما ينصح به من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر ذلك لعموم قوله عز وجل: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨] ، ولا شك أن النصيحة هي دعوة للحق فتدخل في هذا التوجيه القرآني، وإذا لم تكن النصيحة مبنية على علم وفقه لم تكن صالحة، قال عمر بن عبد العزيز

(1) رواه ابن أبي الدنيا في كتابه الإخلاص والنية (ص50-51).

(2) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلّال (ص50).

(3) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلّال (ص29).

رحمه الله: «من تعبّد بغير علم كان ما يفسد أكثر ممّا يصلح»[1] ، وروي عن معاذ رضي الله عنه أنه قال: «العلم إمامُ العمل، والعمل تابِعُهُ»[2] ، فلابد في النصيحة من العلم بما يأمر وعما ينهى والتمييز بينهما، ولا بد من العلم بحال المنصوح، قال النووي رحمه الله أيضا: «إنما يأمر وينهى من كان عالما بما يأمر به وينهى عنه»[3] إذًا أيها الأحبة الناصح إذا كان جاهلا فيما يدعو إليه أو ينهى عنه ربما أوقعه ذلك في حماقات كثيرة وإشكالات عديدة، بل ربما حدثت بسبب ذلك مفاسد متعددة أو تعطلت مصالح راجحة، فلابد من العلم والمعرفة، من الآداب أيضا: الرفق فالرفق أيها الأحبة خلق كريم وأدب الرفيع حري بكل ناصح أمين أن يتحلى به، وهو من أهم مقومات النصيحة النافعة والمرجوة، قال النبي صلى الله عليه وسلم عن الرفق: «**إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ**»[4] ، وقال النبي عليه الصلاة السلام: «**إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفقِ، مَا لاَ يُعْطِي عَلَى العُنْفِ، وَمَا لاَ يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ**»[5] ، الناصح إذا كان حسن الخلق رفيقا في نصحه رجع ذلك على المنصوح بالنفع والخير والأثر الطيب، فيقبل المنصوح على الناصح بسمع ثاقب وقلب راغب، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ يُحْرَمِ الرِفْقَ، يُحْرَمِ الخَيْرَ كلَّهُ**»[6] ، وإذا كان الناصح سيء الخلق فظا غليظا نفر منه المنصوح وامتنع عن قبول الحق، قال معتمر بن

---

(1) رواه الدارمي (1/ 103).

(2) جامع بيان العلم وفضله (1/ 65).

(3) شرح صحيح مسلم (2/ 23).

(4) رواه مسلم (2594).

(5) رواه مسلم (2593).

(6) رواه مسلم (2592).

سليمان رحمه الله: سمعت أبي يقول: «ما أغضبت رجلا فقبل منك»[1] ، يعني الشخص الذي تغضبه لن يقبل منك شيئا، قال سفيان الثوري رحمه الله: «آمر بالمعروف في رفق فإن قبل منك حمدت الله عز وجل، وإلا أقبلت على نفسك، فإن لك في نفسك شغلاً» [2] ، وقال ابن تيمية رحمه الله: «لَا يَأْمر بِالْمَعْرُوفِ وَينْهى عَن الْمُنكر إلا من كَانَ فَقِيها فِيمَا يَأْمر بِهِ فَقِيها فَمَا ينْهى عَنهُ رَفِيقًا فِيمَا يَأْمر بِهِ رَفِيقًا فِيمَا ينْهَى عَنهُ حَلِيمًا فِيمَا يَأْمر بِهِ حَلِيمًا فِيمَا ينْهَى عَنهُ»[3] ، من الآداب أيضا وأهمها: أن تكون النصيحة سرا لا جهرا، هذا الأدب من الآداب المهمة التي ينبغي أن يحرص عليه الناصح في نصيحته لينال الأثر الطيب والفائدة المرجوة فإن الطباع البشرية تأنف من التشهير وتنزعج من التوبيخ، وتضعف عن قبول الحق والنصيحة في السر من الأمور التي اعتنى بها سلفنا الصالح وحرصوا عليها، قال ابن رجب رحمه الله: «كان السلف إذا أرادوا نصيحة أحد، وعظوه سرا حتى قال بعضهم: من وعظ أخاه فيما بينه وبينه، فهي نصيحة، ومن وعظه على رؤوس الناس فإنما وبخه، وقال الفضيل: المؤمن يستر وينصح، والفاجر يهتك ويعير»[4] ، وقال الشافعي رحمه الله: «من وعظ أخاه سرّا فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه»[5]، قال بعض الوزراء الصالحين لبعض من يأمر بالمعروف: اجتهد أن تستر العصاة، فإن ظهور معاصيهم عيب في أهل الإسلام، وأولى الأمور ستر العيوب، وهنا مسألة مهمة تحت هذا الأدب أيها الأحبة ألا وهو نقد ولي الأمر ومؤسسات الدولة ورجالاتها بدعوى النصح، وهذا غلط عظيم وهذه نقطة

---

(1) الآداب الشرعية لابن مفلح (1/ 287).

(2) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (1/ 124).

(3) مجموع الفتاوى (28/ 137).

(4) جامع العلوم والحكم (1/ 225).

(5) شرح النووي على صحيح مسلم (2/ 24).

مهمة تغافل عنها كثير من أدعياء الإصلاح اليوم، فإنهم بدعوى النصف حرية الرأي المغلوطة مع الأسف تراهم يتربعون منابر وهمية في مواقع التواصل الاجتماعي أو غيرها، ويأخذون وينشرون ذلك النصح المزعوم بل الإفساد إن صح التعبير، يغالطون أنفسهم بأن ذلك نصح، ولو وضع أحدهم نفسه في مقام المنصوح بهذه الطريقة لأدرك حول تلك الجناية والمصيبة وعظمها على نفسه ولكنه الهوى يعمي ويصم والعياذ بالله، فنصيحة ولي الأمر علانية ونقد مؤسسات الدولة ورجالاتها بدعوى الإصلاح والنصح شبهة، والرد عليها ما قرره الأئمة أن النصيحة تكون سرا لولي الأمر وعدم تجاوز النصيحة وضوابطها إذ أنها تقع بمجرد إيصالها للمنصوح، ونحن نقصد ولي أمر أن النصيحة تقع بمجرد إيصالها لمن تريد النصح له، ولا يشترط أن تشهر وأن تعلن وتذيع أوصلها بطريقتها بما يناسب مقام المنصوح سواء كان ولي الأمر أو من ينوب عنه، وإن ذلك يجعلنا ندرك أن مخالفة هذا الأدب الإسلامي وعدم الالتزام بهذا التشريع كما هو واقع ممن يدعى الصلاح والنصح يترتب عليه مفسدة عظيمة إن لم تكن مفاسد من أهمها التشهير بولي الأمر والتقليل من هيبته، والسعي لزعزعة أمن جماعة المسلمين، وبث الفرقة والاختلاف، ولا تسألوا عن العواقب بعد ذلك ومن لم يتعظ بما قد حصل في بعض الدول قبل سنوات، فهو الجاهل والمحروم، فالإسلام أيها الأحبة قرر مبدأ النصيحة حتى للحاكم المسلم كما جاء عند مسلم في الحديث المتقدم: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ» ، المتبصر في هذا الحديث يلاحظ أنه صلى الله عليه وسلم خص ولي الأمر وأفراده بالذكر لخاصته ومزيته ومنزلته، وذلك تأكيد لخصوصية هذه الفئة ومع ذلك فإن نصيحة وضوابطها لم تختلف عن عامة الناس بأن تكون في السر لا العلن حتى لا تنقلب فضيحة وعارا وتشهيرا، وهنا قاعدة عظيمة ننوه عليها وهي تقوم على أن نعامل المنصوح بمثل ما نحب

نحن أن نعامل ولا شك أننا نتحرج النصيحة المعلنة ستصير في هذه الحال تشهير وتعير ومستند هذه القاعدة قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[1] ، وأنه من لوازم الإيمان أن يعامل الإنسان الناس بمثل ما يحب أن يعاملوه، هل يحب أحدنا أن ينصح تشهيرا وتعييرا أمام الناس، لا يحب أحدنا هذا الأمر، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ»[2] ، كما تحب أن يأتوك تأتهم أنت، يأتونك بالسر والاحترام أيضا تأتيهم بهذا الأمر، والحديث عند مسلم وغيره، كما يجب أيها الأحبة في النصيحة أن تناسب مقام المنصوح، فقد يكفي في التعريض والتلميح ما يغني عن التصريح ويكون أبلغ وأوقع وأنفع، وأن تكون بأدب واحترام قدر المنصوح حتى لا يعان الشيطان عليه ويفتح عليه أبواب العناد والكبر وما إلى ذلك مما ينشأ في نفوس البشر بطبيعتها، والأهم من ذلك كله وهو من أدب النصح الدعاء للمنصوح في ظهر الغيب، وحب الخير له وهذا يتأكد في حق الحاكم المسلم، قال عبد الله بن المبارك: «لو عملت أن لي دعوة مستجابة واحدة لجعلتها لأئمة المسلمين؛ لأن بصلاحهم يصلح ناس كثير، وبفسادهم يهلك ناس كثير»[3] ، وتأكيد لحق وخصوصية الحاكم المسلم أورد لكم الحديث الصحيح عن الرسول صلى الله عليه وسلم حينما قال: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِسُلْطَانٍ بِأَمْرٍ فلَا يُبْد له عَلَانِيَةً وَلَكِنْ لِيَأْخُذْ بِيَدِهِ فَيَخْلُو بِهِ، فَإِنْ قَبِلَ مِنْهُ فَذَاكَ، وَإِلَّا كَانَ قَدْ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ لَهُ»[4] ، إذاً

---

(1) رواه البخاري (13)، ومسلم (71).

(2) رواه مسلم (1844).

(3) رواه أبو نعيم في الحلية (8/ 91)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (1/ 197). عن الفضيل بن عياض.

(4) رواه أحمد (15333)، وهو صحيح بمجموع طرقه.

فليس من حق أي أحد كان أن يتجاوز حدود الشرع في أدب النصح بدعوى النصح والحرية وليس من حق أي أحد كان أن يتجاوز حدود الشرع في التجرؤ على ولي الأمر ومؤسسات الدولة والتشهير بها بدعوى النصح والحرية، ومن المحاور وهي الأخيرة في محاضرتنا الليلة بل واجب على المنصوح لا سيما في أمر أخطاء في وجانب فيه الصواب أن يحسن لنفسه أولا، ثم إلى من ينصح له، فيأخذ بالنصيحة ويتقبلها بصدر رحب، بل ويشكره على نصحه فإن من وفقه الله لناصح ينصحه ويأخذ بيده لما فيه خير وصلاح فهو في نعمة عظيمة، ومنة كريمة تستوجب حمد الله تعالى، وثناءه عليها، ومن كريم الأخلاق وجميل الخصال أن يتقدم المنصوح إلى الناصح بالشكر والعرفان على ما قام به اتجاهه فيدعو له بالخير، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ: جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ**»[1] ، ولا شك أن تقديم واجب النصيحة من أعظم المعروف الذي يناله العبد من أخيه، ومن الأمور المعينة له على قبول النصيحة أن يعي أن قبول النصيحة من التواضع، فهو خلق كريم وخصلة حميدة إن تحلى بها المنصوح قبل النصيحة دون تكبر وتعالي فإن في ذلك رفعة له في الدنيا وفوزا في الآخرة،قال الله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [القصص: ٨٣] ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: « **مَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ**»[2] ، وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «وجدنا الكرم في التّقوى، والغنى في اليقين، والشّرف في التّواضع»[3] ومن الأمور المعينة أيضا: أن

(1) رواه الترمذي (2035)، وصححه الألباني.

(2) رواه مسلم (2588).

(3) إحياء علوم الدين (3/ 343).

يتجرد لقبول الحق ولا يجادل فيه، فإن ذلك من علامات التواضع، وقد سئل الفضيل بن عياض عن التواضع، فقال: «يخضع للحقِّ وينقاد له، ويقبل الحقَّ من كلِّ من يسمعه منه»[1] .

بهذا يكون قد أتينا إلى خاتمة محاضراتنا اليوم بعد استعراضنا لفضيلة النصح، واستعراض شيء من أحكامها، نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من الناصحين الذين يقبلون النصح لأنفسهم أيضا، وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على سيدنا ونبينا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(1) شعب الإيمان للبيهقي (10/ 510).

حسابات شبكة بينونة للعلوم الشرعية

ليصلكم جديد شبكة بينونة, يسعدنا أن نتواصل على المواقع التالية:

① 【 تويتر Twitter 】

https://twitter.com/BaynoonaNet

② 【تيليجرام Telegram 】

https://telegram.me/baynoonanet

③ 【فيسبوك Facebook 】

https://m.facebook.com/baynoonanetuae/

④ 【انستقرام Instagram 】

https://instagram.com/baynoonanet

⑤ 【واتساب WhatsApp 】

احفظ الرقم التالي في هاتفك

☏https://api.whatsapp.com/send?phone=971555409191

أرسل كلمة "اشتراك"

تنبيه في حال عدم حفظ الرقم لديك

((لن تتمكن من استقبال الرسائل))

⑥ 【تطبيق الإذاعة】

لأجهزة الأيفون

https://appsto.re/sa/gpi5eb.i

لأجهزة الأندرويد

https://goo.gl/nJrA9j

⑦ 【يوتيوبYoutube】

https://www.youtube.com/c/BaynoonanetUAE

⑧ 【تمبلر Tumblr 】

https://baynoonanet.tumblr.com/

⑨ 【بلوجر Blogger 】

https://baynoonanet.blogspot.com/

⑩ 【فليكر Flickr 】

https://www.flickr.com/photos/baynoonanet/

⑪ 【لعبة كنوز العلم】

لأجهزة الأيفون

https://goo.gl/Q8M7A8

لأجهزة الأندرويد

https://goo.gl/vHJbem

【في كيVk】

https://vk.com/baynoonanet

【لينكدانLinkedin】
https://www.linkedin.com/in/669392171-شبكة-بينونة-للعلوم-الشرعية
【ريديت Reddit 】
https://www.reddit.com/user/Baynoonanet
【تشينوchaino】
https://www.chaino.com/profile?id=5ba33e0c772b23d5bb7daf0a
【بنترست Pinterest 】
https://www.pinterest.com/baynoonanet/
【سناب شاتSnapcha】
https://www.snapchat.com/add/baynoonanet
【تطبيق المكتبة】
لأجهزة الأيفون
https://apple.co/33uUnQr
لأجهزة الأندرويد
https://goo.gl/WNbvqL
【تطبيق الموقع】
لأجهزة الأيفون
https://apple.co/2Zvk8OS
لأجهزة الأندرويد
https://bit.ly/3fFoxWe
【البريد الإلكتروني】
info@baynoona.net
【الموقع الرسمي】
http://www.baynoona.net/ar/

حقوق الطبع محفوظة

شبكة بينونة للعلوم الشرعية